خفايا علوم الإيزوتيريك

التواصل والانفتاح على الآخر وأفكاره هو أحد أوجه التطبيق العملي للمنطق

كثيرةٌ هي الأفكار والمواقف التي تطرح على مسرح الحياة. والأكثر هي تلك التي تجهد لفرض نفسها على المستمع مستعملة شتى الطرق لاقناعه إضافة إلى كل ما يخدم هدف تلك الفكرة أو ذلك الموقف. والغريب في الأمر أن كل من طرح موضوعا أو أشاد بموقف أخذ من المنطق منطلقه ومآبه. لكن ما هو المنطق؟ هل يكفي أن يكون الكلام عقلانيا متسلسلا ومترابطا كي يصبح منطقا سليما؟ كيف نحدد ماهية المنطق من جهة؟ ومتى يكون المنطق هو الأساس في أي عمل يقوم به المرء مهما يكن نوعه؟

أضواء على

المنطق وعلوم الإيزوتيريك

بقلم: وليد فرح
walidfarah@yahoo.com
www.esoteric-lebanon.org

يعرّف قاموس ويستر (Webster) المنطق (Logic) على أنه علم التفكير السليم (The science of correct reasoning). فيما لسان العرب يرُد أصل كلمة منطق إلى نطق، أي الكلام، و بأنه التعبير عن موضوع ما عبر الكلام. أما علوم الإيزوتيريك فهي تغوص في أبعاد المنطق، تعلم الكلام والتخاطب، لتقول أن المنطق يقع وبكل بساطة في عملية التجانس بين المعطيات إضافة إلى مقارعة الحجة بالحجة.

إذا كيف نحدد ماهية المنطق؟

نقول أولاً أن المنطق نتيجة تبدأ بعملية فكرية وتغتني عبر التطبيق العملي الحياتي... المثال التالي يوضح المقصود. عند مواجهة موضوع جديد أو موقف حياتي حيث يبدأ المرء بالتفكير في هذا الموضوع أو الموقف محاولاً الوصول إلى الاستنتاج السليم. هنا يستطيع المرء أن يصل إلى نتيجة صحيحة لكنه قد يفتقر إلى وسيلة تقديمها بمنطق واضح، فتفقد قيمتها. إذ إن من خلال التطبيق العملي والتوصل إلى النتيجة المرجوة مع حسن التعبير لإيصال الفكرة إلى مصدرها يصبح منطقاً فعلياً.

من ناحية أخرى، إن عدم اختبار المرء للاستنتاج الذي توصّل إليه (فكريا) يضع منطقه ضمن دائرة النظريات، أكان ذلك المنطق قوياً أو ضعيفا.. ما يجعل المنطق لديه محدودا بالخبرات التي على أساسها تم الاستنتاج من دون إضافة خبرة جديدة إلى وعيه أي تكون هي بحد ذاتها نقطة ارتكاز لاستنتاجات مستقبلية. فالمنطق النظري يقارع الحجة بالحجة ضمن دائرة الجدليات الفكرية (الجافة) فيما المنطق المبني على الخبرة والاختبار ينطلق من التفاعل الداخلي ما يضفي على صاحبه سلاسة التعبير في صور فكرية، فإن لم يقبله الآخر، على الأقل لا يستطيع نقضه.

هذا وكلما توسع المرء في تطبيق المنطق عملياً والالتزام به حياتياً، يعمّق الفكر وبالتالي يُشحذ التفكير بمقدرة التسلسل المنطقي والذي بدوره يجعل التوصّل إلى الاستنتاج السليم أكثر ثباتاً.

إضافة إلى ما سبق فإن التواصل والانفتاح على الآخر وأفكاره هو أحد أوجه التطبيق العملي للمنطق. فإذا كان المنطق هو مقارعة الحجة بالحجة، فالحقل التطبيقي الأفضل والأكثر نفعاً هو الانفتاح على الغير من خلال المناقشة الفعّالة التي تحث الفكر وتجعل المرء يسعى جاهداً لتقديم أفكاره بأفضل أسلوب منطقي مع الابتعاد عن التعصب بكل أنواعه.

ولمزيد من التفاصيل نقدم ثلاثة أوجه أساسية

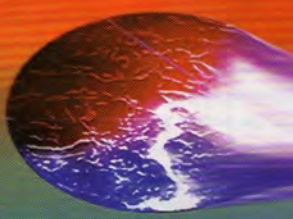

للمنطق والتي عبرها يستطيع المرء إيصال فكرته بالشكل المطلوب:

أولاً: المنطق العام

هو المنطق العادي القائم على الفطرة السليمة وآراء الناس العاديين التي تصدر على البديهة common sense). من هذا المنطلق فإن المنطق العام هو بحدّ ذاته منطقٌ متوارث ويرتكز أساساً على ما فُطر عليه الإنسان إلى جانب العادات والتقاليد التي بدورها تحدد سلوك الشخص تجاه المواضيع المختلفة وطريقة التعاطي معها. من هنا نلاحظ أن ما هو منطقي عند شعبٍ ما مرفوض أو غير مستحب لدى شعب آخر. هذا بدوره يجعل المنطق العام عرضة للجدل والتغيير مع مرور الزمن. لذا فإن محاورة الأشخاص تبدأ أولاً من خلال التعرف إلى بيئتهم كي يستطيع المرء تحديد عاداتهم وتقاليدهم وبالتالي نوعية تفكيرهم والأهم من هذا كله عدم الإساءة إلى المسلّمات.

ثانياً: المنطق المشاعري

ويرتكز على تقديم صورة مشاعرية لكن تُفسّر فكرياً. إذ إن الشخص المشاعري عادةً يميل إلى رفض الأمور الفكرية، لذا لا بد من رفع مستوى المشاعر لديه من خلال استفزاز فكره، وبالتالي تحليل الصورة المقدمة له. أي أن تكون الفكرة موجهة تدغدغ مشاعره لتصل إلى فكره.

ثالثاً: المنطق الفكري

وعلى عكس المنطق المشاعري، يرتكز المنطق الفكري على تقديم صورة فكرية يفهمها الفكر ويستسيغها ويحولها مشاعر لطيفة تنتشي بها مشاعره من دون تخلي الفكر عن دوره. فالشخص الفكري فُطرَ على صد المواضيع المشاعرية ظناً منه أن في المشاعر ضعفٌ وهوان. لذا نراه إما يتجنب أو يرفض النقاش في تلك المواضيع. فمن خلال جعل المشاعر لديه تتحرك تجاه الفكر، يُبنى التواصل مع المشاعر وبذلك تصل الأفكار.

تلك هي أوجه المنطق الثلاثة والتي هي بدورها منطق النفس البشرية. وهنا لا بد من التأكيد على أن الحكمة في تقديم أي فكرة أو طرح أي موضوع هو قائد المنطق الأكبر. فالمنطق أياً كان نوعه إن لم يوصل صاحبه إلى الحكمة فهو منطقٌ أفقي محدود يفتقر إلى البُعد العمودي، والذي بدوره لا يرتقي بالمرء نحو الأسمى.

أما عن أسس تنمية وتقوية المنطق فنوجزها في نقاط تسعة هي:

1 - تقوية الفكر

ذلك من خلال قاعدة الفكر الرباعية التي قدمتها علوم الإيزوتيريك (تفكير، تحليل، تمييز، استنتاج) إضافة إلى ما ورد في كتاب الإيزوتيريك الواحد والثلاثين تعرف إلى فكرك واستشهد «استخلصوا العبرة من كل حادثة، أو حدث، أو واقع حياتي.. بل اتخذوه مسألة تستوجب التفكير، أو قضية تستدعي الفهم والاستيعاب.. واجعلوا من كل دقيقة فراغ وقتاً مخصصاً للتفكير والتمعن والغوص في كل ما غمض من أمور، وخفي من شؤون، واستعصى من شجون.

الحكمة في تقديم أي فكرة أو طرح أي موضوع هو قائد المنطق الأكبر

بذلك يُختصر المجهود والوقت، وتنجح المساعي في تحقيق الهدف».

2 - تقوية التركيز

إن العمل على تقوية التركيز شرط أساسي لتنمية المنطق وصقله. إذ إن من دون التركيز يفقد المرء إمكانية متابعة الحوار بحذافيره، ما يجعل فكره مشتتاً بالتالي يغيب التسلسل المنطقي.

3 - تقوية الذاكرة

أهمية الذاكرة ليس فقط في تذكر أو متابعة الحوار فهذا من صلب عمل التركيز الذهني. إنما المقصود بالذاكرة هو المقدرة على ربط المعلومات والوقائع من جهة، وإمكانية استنباط الحجج التي مرت مع المرء أو خبرها بنفسه من جهة أخرى. فما من ذاكرة أكثر نفعاً من تلك التي تذكّر بنفسها عند الحاجة إليها. فكم من مرة نقيّم حواراً أو حدثاً معيناً نستنتج من بعده أنه كان باستطاعتنا أن نجيب بكذا وكذا ملقين اللوم على عدم تذكر ذلك الموقف أو تلك المعلومة.

4 - تغذية الفكر بكل جديد

بتعبير آخر البحث والاستفادة من المواضيع الحياتية التي تواجه المرء إلى جانب الإطلاع الدائم على مختلف المواضيع التي من شأنها أن تزيد من معلومات المرء وتوسع تفكيره.

5 - الإحاطة الشاملة بموضوع البحث

وتجنب الوقوع في الخطأ الشائع أي طرح فكرة أو موضوع لا يمتلك المرء المعلومات الكافية للغوص فيه ومتابعته حتى النهاية.

6 - التجرد، الموضوعية، والابتعاد عن المصلحة الخاصة

فمن شأن التجرد والموضوعية أن يبنيا جسر تواصل مع الآخر فيما الأنانية تقف كحاجز لا مرئي تجعل الآخر يشعر بعدم الراحة إلى حد النفور أحياناً.

7 - استدراك مستوى الوعي لدى الشخص الآخر

وذلك من خلال طرح أسئلة عن نوع عمله أولاً وحالته الاجتماعية ثانياً إلى ما هنالك من تفاصيل تكوّن صورة عامة عنه.

8 - تطوير التعبير التصويري

ذلك عبر المثابرة على تدوين الأفكار ثم مراجعتها وتنقيحها، وربطها فيما بينها، فيكتسب المرء مقدرة التعبير التصويري، مما يساعده على إيصال أفكاره كلوحة رسام عبر الكلمات عوضاً عن الألوان.

العمل على تقوية التركيز شرط أساسي لتنمية المنطق وصقله. إذ إن من دون التركيز يفقد المرء إمكانية متابعة الحوار

9 - الثقة بالنفس المبنية على الإيمان، وحب العمل، ووضوح الهدف

فالإيمان يقوّي التفاعل ويدعم ركائز الحوار ويبعد الشك. إذ أن الشك أينما وجد وفي أي مرحلة من مراحل الحوار يُضعف الحجة تلقائياً فيبتعد المنطق من تلقاء نفسه تاركاً المرء يتصارع مع أفكاره عوضاً عن مجابهة الآخرين. أما وضوح الهدف فيكمن في تقديم المعرفة للآخرين من دون التشاوف أو التباهي، مما يخمد الأنا السلبية وبالتالي يقوى المنطق وتتضافر إلى الذهن حجج قد يستغرب المرء مصدرها. ويبقى حب العمل هو الرابط بين الاثنين (أي الإيمان ووضوح الهدف) والذي من خلاله يغتني المرء بكل جديد.

بالإضافة إلى كل ما تقدم. ثمة أمرٌ هام والأكثر وقعاً على المستمع ألا وهو نبرة صوت المتكلم. فهي، أي نبرة الصوت، إما أن تريح الشخص الآخر وتوصل الفكرة بطريقة سلسة، وإما أن تكون جافة إلى حد الإزعاج أحياناً فينقطع التواصل بين المتحاورين.

من ناحية أخرى، ما يضعف المنطق وحججه هي السلبيات المتراكمة وأهمها الانغلاق، الأنا (الإيغو - Ego) ولا سيما العصبية التي تغلق باب الحوار والمناقشة. أضف إلى ذلك عدم التعلم من الأخطاء. ولا داعي لذكر أن القيام بعكس النقاط التي ذُكرت آنفاً هو بحد ذاته إضعاف للمنطق كي لا نقول انتفاءً له.

ويبقى السؤال: ما هو ذلك المنطق الذي يروّض أهواء المشاعر ويخترق كثافات الفكر فنرى النفس تشرع له أبوابها مستغيثة به؟ ما هو ذلك المنطق الذي يدخل إلى الأعماق فيكشف النقاب عن الجواهر المستقرة في القعر؟... هذا المنطق هو منطق الباطن الموجود في كل إنسان، منطق الحقيقة التي تناجي المرء منذ أزمانٍ وأزمان.

منطق الإيزوتيريك

فما يميّز منطق الباطن (منطق علوم الإيزوتيريك) هو أنه يرتكز على المعرفة وليس على معلومات. فالمعرفة تخرق كثافات المادة مسلطة نور الحقيقة على المستمع. أما المعلومات فهي رصف كلام وإن بدت إلى المستمع العادي منطقية فهي تطأطئ رأسها أمام وهج المنطق الباطني الذي أخذ من الحقيقة حجته، فانضمت له جميع الحجج الأخرى.

من جهة أخرى المنطق الباطني ينطلق من عمق الحقيقة التي اختبرها المرء باتجاه أعماق الحقائق القابعة في الشخص الآخر. هذا ما يجعل منطق الباطن الطريق الأقصر لإيصال أي فكرة مهما كانت. فهل من طريق أقصر إلى الحقيقة؟! تلك الحقيقة التي تختصر شتى المسافات نحو هدفٍ واحدٍ موحد ألا وهو الوعي.

ولعل العبارة الأكثر إقناعاً والتي تُظهر كيف للمنطق الباطني أن يتجسد في كلمات مختبرة أخذت من البلاغة رداءً لها من دون أن تفرض نفسها، هي تلك التي توضح منهج علوم الإيزوتيريك في كتابها الثامن «الإيزوتيريك أو الدرب الباطنية وأهميتها في حياة الإنسان» وأستشهد «إن العلم الأفضل والأهم هو ذلك الذي يمكن تطبيقه عملياً... ذلك الذي يؤدي بالإنسان إلى التطور من خلال هذا التطبيق... ولا فائدة تُرجى من علم يقوم على النظريات، ولا يقدّم سوى النظريات».